رِثاءُ أُمِّي

انتقلت إلى رحمة الله، والدة الشاعر خديجة بنت سالم بن هلال المناعي، الساعة الثامنة من مساء الخميس، الموافق 27-6-2024 عن مئة عام من العمر تقريبًا، فرثاها بالأبيات التالية:

طوى الموتُ أمّي فالأسى اليومَ أَشجاني ... فسالت دُموعُ العينِ من حَرِّ أشجاني
حَزَنتُ عليها قَبلَ مَوتٍ وقد بَدى ... عليها نُحولُ الموتِ والطِّبُّ ذا شاني
نَعى ليَ أُمّيْ في المَساءِ طَبيبُها ... فقُلتُ: قضاءُ اللهِ، والفَقدُ أبكاني
أتى النَّعشُ في ليلٍ إلى القبرِ ساريًا ... أراهُ ودَمعُ العينِ يُغرقُ أجفاني
ثَوت في ظلامِ القبرِ والصَّمتُ مُطبِقٌ ... بدارٍ خَلت من كلِّ روحٍ ورَيحانِ
رأيتُ تُرابَ القبرِ يَنهالُ فوقَها ... يُغطِّي جِدارَ اللَّحدِ يُشعِلُ أحزانِي
وكم كنتُ قَد أودعتُ من قبلُ في الثَّرى ... أبي واختَهُ والعَمَّ، غابوا، وأقراني
غَدت تَعصُفُ الأشجانُ إذ حانَ حَينُها ... فأمست عيونُ الأهلِ بالدَّمعِ أعواني
كبيرةُ سِنٍّ أَنحلَ الدَّاءُ جِسمَها ... فأطرافُها ذابت وصارت كعِيدانِ
لقد جاوَزتْ قَرنًا من العُمرِ أمُّنا ... فخاضَت غِمارَ الموتِ في غمضِ أجفانِ
وعاشت لنا دَهرًا نَعِمنا بعطفِها ... فكانت - إذا أنصفتُ - أحسنَ إنسانِ
فما عَرَفت نَومًا ولا راحةً إذا ... أُصِبتُ بحُمَّى أو رأت دَمعَ أجفاني
حنانٌ لها، والعَطفُ في القلبِ زَاخِرٌ ... بحُبٍّ وإشفاقٍ وجُودٍ وإحسانِ
إلى اللهِ أشكُو ما أُحِسُّ مِن الأسَى ... وحُزني لفَقدِ الأمِّ يا قُومُ أضناني
سَلا الناسُ عن أمواتِهم بعدَ بُرهَةٍ ... وما أنا عن ذِكراكِ أُمِّي بسَلوانِ
سَمِيَّةُ أُمِّ المؤمنينَ خَديجةٍ ... مَلا قلبَها رَبِّي بعَطفٍ وإيمانِ
فآمنةٌ أُختيْ وأُمِّي خَديجَةٌ ... أَبِي أحمدُ المعروفُ من نَسلِ عَدنانِ
نشأتُ لأُمِّيْ طائِعًا ولِوالدي ... رَضِيتُ بتَسليمي وذُلّي وإذعانِي
لعَمريَ إنِّي مع شقيقي يُوسُفٍ ... لأُمّيَ في حُبٍّ وطَوعٍ وعِرفانِ
وما قَصَّرتْ أُختي بطاعَةِ أُمِّها ... فكانت لها تَسعى بِحُبٍّ وإحسانِ
وقد فرقت بيني وبين أحبَتي ... منايا لها حكمٌ على كُلِّ إنسانِ
فهيهاتَ أن أنسى أَبي بعدَ موتِهِ ... فذِكراهُ في قَلبي ورُوحي ووِجداني
كأنّيْ أراهُ في الجِنانِ مُنَعَّمًا ... تُحيطُ به الأزهارُ مِن كُلِّ ألوانِ
وأذكرُ أُختي حِينَ حانت وَفاتُها ... رَثتها دُموعي قَبلَما الشعرُ لَبَّاني
سئمتُ زَماني كَم فَقدتُ بغُصَّةٍ ... وودَّعتُ من أهوى بقبرٍ وأكفانِ
فكَم صاحبٍ وَلَّى وفي إثره مَضى ... صَديقٌ عزيزٌ غابَ عنِّي وخَلّاني
تَكررتِ الأرزاءُ مِمّا أَصابَني ... فأبكي على أهلي وصَحبي وخِلّاني
لقد شَيَّبت رأسي خُطوبٌ كثيرةٌ ... وأسوأُ ما عانيتُهُ خَطبُ فُقْدانِ
سأذكرُ أُمِّي ما حَييتُ لأنَّها ... أضاعَت شَبابَ العُمرِ جُهدًا لتَرعاني
لقد وَرَثت أمّي مكارِمَ قَومِها ... مَكارمَ خُلْقٍ ما اجتمعنَ لإنسانِ
قَضَت عُمرَها في الخيرِ والبِرِّ والتُّقَى ... فما مِثلُها أمٌ كأمِّي بنسوانِ
أيا ربِّ، يا رَحمنُ، فَارحَمْ فَقِيدتي ... ويسِّر لها أبوابَ عَفوٍ وغُفرانِ

شعر:
د. حجر أحمد البوطامي البنعلي